اليوم الذي صدمت فيه..!

د.كوردستان سالم آميدي

كثيرا ما نسمع عن المشاكل التي تعاني منها (رياض الأطفال) في مجتمعنا، من عدم توفر المكان والأبنية المناسبة، وعدم توفر المستلزمات التعليمية والترفيهية الضرورية لتهيئة الأطفال، واستيعاب هذه الرياض أكثر من طاقتها من الأطفال، بحيث تصبح الغرف مكتضة بالأطفال، وخاصة الأهلية منها، أو(الاستثمارية)، التي نضيف لها مشكلة التغذية، والأكل الصحي، التي تتعمد بعض الرياض الأهلية الزهد فيها، توفيرا للمال، وكسبا للمزيد من الربح.

من الواضح أن هذه المشاكل تؤثر على تحقيق الهدف الأساسي، الذي من أجله وضعت هذه الرياض، من حيث إعداد الأطفال، وتهيئتهم من الناحية الشخصية والاجتماعية والعلمية والفكرية والسلوكية لجو المدرسة، من أجل أن يتمكن الطفل من الاندماج والتأقلم مع الأجواء الدراسية، ويتمكن من المضي قدما في تحقيق الرقي الشخصي، وبناء المجتمع، و...إلخ.

ولكني هنا أود أن أضيف مشكلة مهمة أخرى، قلما يشار إليها، ونادرا ما يتناولها

الباحثون والمسؤولون والمعنيون برياض الأطفال، ألا وهي مشكلة الكادر المتخصص في تربية وإعداد أجيال المستقبل، حيث أنني قررت قبل أيام أن أذهب لزيارة الروضة التي تذهب إليها ابنتي الصغيرة هذا العام، من أجل مشاهدة البرامج والدروس التي تتلقاها، ومعرفة مستواها، وكيفية تفاعلها مع هذه الدروس، واندماجها في هذه البرامج والنشاطات المختلفة. ألا أنني تعرضت لصدمة كبيرة، تطلبت مني عدة أيام، من أجل تجاوزها قليلا، حيث كانت هناك معلمتان (دادة)، مشرفتان على الصف، أو ما يطلق عليه في الروضة اسم (غرفة)، أنا لا أنكر أن هاتين المعلمتين تحملان شهادات معترفة، ولديهن من المعرفة ما يؤهلهن لإعطاء دروس لأطفال الرياض، إلا أنني أجزم أنهما لا تتمتعان بأية قدرة على التعامل مع الأطفال، ولا تملكان أية مهارات للتواصل مع الأطفال.

في البداية تعجبت أنني عندما دخلت الصف، وجلست في آخره، أن ابنتي جلست إلى جانبي، فطلبت منها أن تجلس إلى جانب أصدقائها، ولكنها رفضت، وألحّت على أن تجلس بجانبي، لقد رأيت بأعيني في ذلك اليوم ما لم أكن أتصوره، وما نطلق عليه اليوم مصطلح (العنف) بكل أنواعه، حيث لم تكن المعلمتان تجيدان سوى التهديد، والتنديد،

والصراخ على الأطفال، ولم أر ابتسامة واحدة على وجهيهما، ولا كلمة تقدير، أو شكر، أو تشجيع، لأي طفل، والأدهى أن بعض الأطفال كانوا يطلبون الذهاب إلى الحمام، أو شرب الماء، إلا أنهما كانتا ترفضان ذلك، وتقولان ألم تذهبوا إلى الحمام قبل مجيئكم إلى الروضة؟! فقلت في نفسي: يا إلهي، إذا كنت حاضرة، وهما يتعاملان بهذه القسوة والفضاضة مع الأطفال، فكيف تتصرفان عندما تكونان لوحدهما مع هؤلاء الأطفال.

في الواقع شعرت بأسىً شديد، ليس لأجل ابنتي فحسب، وإنما لأجل كل أولئك الأطفال الأبرياء، الذين لا يعرفون كيف يعبرون عن أساهم ومعاناتهم مع أمثال هؤلاء المعلمات، ولأجل كل أولئك الأمهات اللاتي يعتقدن أن فلذات أكبادهن بأيد أمينة، ولأجل ذلك النظام الإداري والتعليمي، الذي لا يمتلك من المقومات ما يمكنه من تنشئة مربين ومربيات، أو منع غير المؤهلين من التأثير سلبا على تربية الأطفال في الرياض.

وتتجلى مشكلة الكوادر والمربين المتخصصة، في رياض الأطفال، في مسائل أخرى أيضا، من أهمها عدم التعامل مع الطفل على أنه شخص يستطيع أن يفكر، أو يقرر، لذلك فإن الأسلوب الشائع في تعليم الأطفال في الرياض، وحتى في المدارس، هو أسلوب التلقين. لذلك لا يتعلم الطفل كيف يفكر بالأمور، وماهيتها، وما يتعلمه، والأسباب وراءها، وتكوينها، و...إلخ، وإنما يتعلم أن يحفظ ما يلقنه إياه المعلم، دون معرفة السبب. ويأتي دور العائلة في مسألة تبجيل الدرجات العلمية، والتبجح بها أمام الآخرين. لذلك، فإن جلّ ما يتعلمه الطفل هو من أجل الحصول على درجات عالية، تسعد والديه، دون أن يكون مهما لديهم: ماذا تعلم طفلهم؟!

وفي النهاية، لا أريد أن أنسى دور معلمات رائعات، ومعلمين كفوئين، يقومون بأداء أدوارهم على أكمل وجه، وأن لا أنسى فضلهم في تربية أولادنا، وأمانتهم في أداء واجبهم، وهذا ما يخفف علينا وقع الوقوف على المشاكل التي ذكرناها سلفا.

وما يجب علينا فعله في هذه المواقف، هو ضرورة التعبير عن عدم رضانا بهذا الأداء، وإعلام المسؤولين والمهتمين، وأخيرا محاولة التغيير، لأنه لا جدوى من إثارة المشاكل دون طرح الحلول المناسبة..❐

قراءات سياسية

قراءة نقدية للإعلام الكوردي في عيده السابع عشر بعد المائة

أداء سلبي يفتقد المهنية والحياد

أحمد الزاويتي

ليس ما أتحدث عنه هو الجوانب الإيجابية للإعلام الكوردي، ولا منجزاته، ولا الإشادة به، فهناك الكثير الذي كتب في ذلك، ما سأتحدث عنه، هو الآثار السلبية جراء سوء أداء هذا الإعلام، بعد مرحلة الانتفاضة في آذار عام ١٩٩١، سوء أداء هذا الإعلام يولد دورا خطيرا له، ربما لا يحس به المسؤولون عنه، بل يعتبرونه ممارسة لحرية الصحافة، والحقيقة هي كمن يحمل مطرقة يضرب بها رأسه صباح مساء، ما يشبه عملية انتحار، لأن هذا الإعلام صنع جيلا يكاد لا يثق بقضيته الكوردية، بل يرى كل مظاهر السيادة في كوردستان، من: سلطة برلمان، أو حكومة، أو حزب، هو ظاهرة فساد، لا يمكنه كمواطن كوردي أن يفتخر بها. وهذه نتيجة سلبية، يمكن لأي ناقد أن يصل إليها، بعد نظرة تمحيصية عميقة لواقع هذا الإعلام. ولنفصل في الأمر أكثر، سنتطرق للمراحل التي مرت بها هذه الصحافة، والتي يمكن تحديدها بالتالي:

١- **مرحلة النشأة (إعلام الحرب الداخلية)**: هذه المرحلة تبدأ مباشرة بعد عام ١٩٩٢، وبداية أول انتخابات كوردية لتشكيل برلمان كوردستان. وكانت تلك بداية انطلاق ثورة في الصحافة، أسعدت كل كوردي، رغم تواضع الإمكانيات المهنية الصحفية في ذلك الوقت، إلا أن عددا كبيرا من الجرائد والمجلات بدأت بالصدور، وكذلك من الإذاعات ومحطات التلفزة، وغالبيتها كانت صادرة باسم الأحزاب الرئيسية، لكن للأسف بقيت الصحافة الكوردية، منذ ذلك الحين، تعيش ثورة الكم دون النوع، فهي لم تستطع أن تكون غير أحزابها، بل مثلت أحزابها في الجانب المتشدد منه، أكثر من الجانب المنفتح، لتكون بعد ذلك آلة، استخدمت فيما نشب من خلافات بين هذه الأحزاب، بل سلاحا استخدم في الحرب الداخلية، التي قتل فيها الكوردي أخاه الكوردي. لهذا يمكن وصف هذه المرحلة من عمر الصحافة الكوردية بمرحلة السقوط في أول امتحان لها، عندما أصبحت إعلاما للحرب الداخلية، وأدت دورا سلبيا، وتحولت إلى آلة النفخ في كير نار الحرب، حتى عام ١٩٩٨.

٢- **مرحلة إعلام دعاية وترفيه**: كانت نتيجة الحرب الداخلية هو تقسيم كوردستان إلى إدارتين في كل شيء (أربيل والسليمانية)، بدءا من عام ١٩٩٦، واستمرت حتى عام ٢٠٠٣. وتحول الإعلام الكوردي بعد ذلك، وبالتحديد بعد عام ١٩٩٨، والذي توقفت عنده الحرب الداخلية، إلى إعلام دعاية وترفيه، أكثر من كونه إعلام نقل واقع للجمهور الكوردي. فغنّى كل إعلام بمنجزات حزبه، ومنجزات إدارته، وصور سلطته وكأنها سويسرا الشرق الأوسط، ونقل لنا هذا الإعلام مظاهر الجمال والإعمار والغنى في كوردستان، الحالة التي لم تكن تعتبر نسبيا ١٠٪ من

الحقيقة. في حين كانت ٩٠٪ من الحقيقة المخفية في الإعلام، هي أن (كوردستان)، التي خرجت من سيطرة النظام، كانت منعدمة البنية التحتية، تنتشر فيها البطالة، ويسود فيها الفقر والتخلف، في غالبية مجالات الحياة، التي كانت تضم شريحة كبيرة، فقدت من يعيلها سواء من ظلم النظام السابق، الذي تركهم بلا معيل، نتيجة الحروب والكوارث والإبادات الجماعية، أو نتيجة الحرب الداخلية بين الحزبين الكورديين الرئيسين (الديمقراطي الكوردستاني) و(الاتحاد الوطني الكوردستاني). وهكذا، فإن الإعلام في كوردستان، بدأ يفقد تدريجيا جمهوره ليكون إعلام الـ ١٠٪ فقط من المجتمع، وبقية الـ ٩٠٪ من الجمهور يرى نفسه بلا إعلام! ورأت نسبة الـ ٩٠٪ هذه، أن (كوردستان) المصورة في الإعلام، هي ليست كوردستانهم المقصودة، ولم يجدوا أنفسهم جزءا من ذلك الوطن، بل رأوا أن هذا الوطن المصور إعلاميا، ليس بوطنهم الواقعي. كانت هذه النتيجة، سواء بعلم الإعلام، أو بدون علمه، وسواء خطط لهذه النتيجة المسؤولون عن الإعلام، أم لا، ما ولد حالة خطيرة جدا في المجتمع، بحيث أن الغالبية من المواطنين لم يشعروا بأنهم جزء من الوطن.

٣- **إعلام رد الفعل الإعلام الأهلي – اللاحزبي**: بعد أن أحس بعض الإعلاميين الكورد، بما وصل إليه الإعلام الكوردي، وعرف أن الحزبية والإعلام الدعائي والترفيهي هي أهم أسباب فقد الإعلام للجمهور، بحث عن طريقة يصنع له جمهورا، فكان بذلك الإعلام الناقد الجريء لكل مظاهر السلطة في كوردستان، من برلمان وحكومة، وما يترتب عليهما من مظاهر الإدارة والسياسة. وتمكن هذا الإعلام، ولفترة وجيزة، من جذب الجمهور، الذي هرب من الإعلام الحزبي والدعائي، وهذا ما شجع إعلام رد الفعل على الاستمرار في مساره، والتصعيد من حدة لغته الانتقادية، بحيث أصبح ظاهرة، إلى درجة أصبح الإعلام الحزبي أيضا يقلده، بل استغلت الأحزاب في صراعها المتبادل هذا النوع من الإعلام، ليستخدمه كل طرف ضد آخر، ليكون أقرب إلى إعلام الظل، بدلا من أن يكون الإعلام المستقل. وإذا كانت نتيجة الإعلام الكوردي، في مرحلته الثانية: (الدعائي الترفيهي)، أن صنع جمهورا لا يثق به، ولا يصدقه. أصبحت نتيجة المرحلة الثالثة: (إعلام رد الفعل)، هي صناعة جمهور لا يثق بكوردستان، ويفقد الأمل بما هو موجود من أوجه السيادة، من برلمان وحكومة ورئاسة إقليم وأحزاب وسياسيين. وهذه نتيجة خطيرة جدا، بحيث سيجعل من الجيل الجديد أن لا يعتبر نفسه صاحبا لهذا الوطن، بل ينتظر الفرصة للهروب منه. الإعلام في مرحلته الثالثة، رغم جرأته، إلا أنه سقط في امتحان المهنية والحيادية، لهذا تم استغلاله بسهولة من قبل الأطراف المتصارعة سياسيا، داخليا وإقليميا، وكان بذلك إعلاما غير مسؤول. الإعلام الكوردي، رغم مرور ٢٤ سنة على عمر ثورته بعد الانتفاضة، لكنه لم يستطع أن يحرر نفسه من سيطرة الأحزاب، والقوى، والموجهين له، ذلك لأنه يفتقد إلى الممول المحايد، الذي يشعر بأهمية وقيمة الإعلام، وفي الوقت نفسه يشعر بمسؤوليته تجاه القضية الكوردية❐